الفصل الرابع

بعد بن إسحاق

أبو مَعْشر السِّندىّ

نرى لِزاما علينا أن نذكر معاصرا صغيرا لابن إسحاق، حُفِظت لنا من «مغازيه» قطع عند الواقدىّ وابن سعد وغيرهما : وهو أبو معشر المعروف بالسندى ، ويبدو من لقبه أنه هو نفسه أو أحد آبائه جاء من السند إلى بلاد العرب . وإذا كان أبو نَعيم [1] محقا ، حين يقول دون أن يذكر مراجعه «إن أبا معشر سِندى ، وكان ألكن ؛ يقول : حدثنا محمد بن قعب ، يريد كعب» ، فإننا يجب أن نستنتج أن أبا معشر ولد من أبوين غير عربيين ، ولكن لقب السندى يمكن إطلاقه على العربىّ المقيم فى السند ، لأن السند كانت من ولايات الخلافة العربية منذ عام ٩٢هـ . ويقول جد أبى معشر ، داود بن محمد [2] : إن جده كان أصله من اليمن ، مما يجعلنا نظن أن والد أبى معشر هاجر من السند إلى اليمن . ويؤكد الجدّ أن أبا معشر كان أبيض [3] على حين يصفه أبو مُسْهِر بالسواد . ويبدو أن أبا معشر نفسه كان من قبيلة حنظلة بن مالك [4] من جانب أمه . وكان اسمه فى الأصل عبد الرحمن بن

---

(١) ياقوت ، تحقيق وستنفلد ٣ : ١٦٦ . والسمعانى : أنساب ٣١٣٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ١٠ : ٤٢١ . وقال داود بن محمد بن أبى معشر ، حدثنى أبى : أنه كان أصله من اليمن ... وكان أبيض أزرق سمينا . ح : كانت البصرة أيضا يطلق عليها فى بعض الأحيان اسم السند ، لمحلة بها كانت بهذا الاسم ، ويرجح أنها كان يسكنها كثير من هؤلاء السنديين لأنها الميناء الذى يخرج منه المسافر إلى بلدهم، فربما نسب أبو معشر إليها .

(٣) الذهبى ، تحقيق سخاو ، دراسات .

(٤) نفس المرجع ١٠ : وكان أبو معشر يذكر أنه من ولد حنظلة بن مالك .

الوليد ، كما يخبرنا[١] جد آخر له ، يسمى الحسين . وبعد خطفه وبيعه رقيقا فى المدينة سماه مواليه من بنى أسد نَجيحا[٢] . ومايسمى هنا بالخطف يظهر أن المراد به ، كما فى عبارة جده الآخر داود المذكور سابقا[٣] ، هو السبى « فى وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين » ، ثم صار أبو معشر فى يد أم موسى بنت منصور الحميرىّ ، زوج الخليفة المنصور وأم الخليفة الهادى[٤] ، فأعتقته هـذه المالكة الجديدة[٥] . وتقول مصادر أخرى إنه بدأ يشترى نفسه من حيازة امرأة (مكاتبة ، أى بدفع أقساط فى فترات محددة) فاشترت أم موسى ولاءه من المرأة وأعتقته[٦] . فصار مولى للعباسيين ، وكان يعلق على صلته بالبيت الحاكم من الأهمية أكثر مما يعلق على نسبه فى بنى حنظلة[٧] . وحين قدم الخليفة المهدى إلى المدينة

---

(١) نفس المرجع : وقال أبو بكر الحسين بن محمد بن أبى معشر : حدثنى أبى قال : كان اسم أبى معشر ، قبل أن يسرق ، عبد الرحمن بن الوليد بن هلال .

(٢) نفس المرجع : فسرق فبيع بالمدينة ، فاشتراه قوم من بنى أسد ، فسموه نجيحا .

(٣) ابن حجر ١٠ : ٤٢١ .

(٤) الطبرى ٣ : ٤٢٣ : وكانت أم موسى [الحميرية] ولدت له (يعنى المنصور) جعفرا والمهدى .

(٥) ابن حجر : نفس المرجع : ثم اشترى لأم موسى بن المهدى ، فأعتقته .

(٦) الفهرست ٩٣ : وكان مكاتبا لامرأة من بنى مخزوم وعتق ؛ ابن سعد ٥ : ٣٠٩ : وكان مكاتبا لامرأة من بنى مخزوم ، فأدى وعتق ، فاشترت أم موسى بنت منصور الحميرية ولاءه ؛ والمقدسى ، تحقيق سخاو : دراسات ؛ ويقول البخارى : تاريخ ، إنه كان « مولى أم سلمة » .

(٧) المقدسى ١٠ : وقال لى : ولاؤنا فى بنى هاشم أحب إلى من نسبى فى بنى حنظلة .

للحج[١] استصحب أبا معشر معه إلى بغداد ، كما يخبرنا أبومعشر نفسه[٢] ، ودفع له ألف دينار ، وأمره بالحضور عنده وتفقيه من حوله . وقد تغير فى الأعوام الأخيرة قبل وفاته تغيرا شديدا ، واختلط عقله[٣] ، وتوفى عام ١٧٠ هـ[٤] فى بغداد ، فدفن فى المقبرة الكبيرة ، وصلى عليه هارون[٥] . وقد دفع بعضهم شهرة أبى معشر بالحديث ؛ يقول البخارى[٦] : «يخالف فى حديثه» . ويصفه ابن سعد[٧] بأنه : «كان كثير الحديث ضعيفا» ويذكر ابن حجر[٨] جمهورا من الأحكام ضده . ولكن روايته للمغازى مقبولة؛ يصفه أحمد بن حنبل[٩] بأنه «بصير فى المغازى»، ويقول: أبومعشر[١٠] «له مكان فى العلم والتاريخ ، وتاريخه احتج به الأئمة ، وضعفوه فى الحديث» .

---

(١) الطبرى ٣ : ٤٨٢ . (٢) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢١ : وقدم المهدى فى سنة ستين ومئة ، فاستصحبه معه إلى العراق ؛ الذهبى ١٠ : إن المهدى قدم المدينة سنة ستين ومئة ، فأشخص أبا معشر معه إلى العراق ، وأمر له بألف دينار ، وقال : تكون بحضرتنا ، فتفقه من حولنا .

(٣) ابن حجر : نفس المرجع ٤٢٢ : وتغير قبل أن يموت بسنتين تغيرا شديدا ؛ والذهبى ٢ ، الذى يذكر : حتى كان يخرج منه الريح ولايشعر بها ؛ السمعانى ٣١٣ : وكان ممن اختلط فى آخر عمره ، وبقى قبل أن يموت سنين فى تغير شديد ، لايدرى مايحدث به ، لكثرة المناكير فى روايته من قبل اختلاطه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٠٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٣ ؛ السمعانى ٣١٣ ؛ ابن حجر ١٠ : ٤٢١ ؛ يقول الفهرست ٩٣ إنه توفى فى أيام الهادى (الذى توفى عام ١٦٩ هـ) .

(٥) السمعانى ٣١٣ ؛ الذهبى ٢ . (٦) تاريخ ١٩٩ .

(٧) ابن سعد ٥ : ٣٠٩ . (٨) تهذيب ١٠ : ٤٢٠ .

(٩) المقدسى ٩ . (١٠) ابن حجر ١٠ : ٤٢٢ .

ويذكر الفهرست[١] أن أبا معشر ألف « كتاب المغازى » ، وتوجد عدة قطع من ذلك الكتاب فى « كتاب المغازى » للواقدى ، الذى يذكره خاصة فى الأحوال التى يقدم فيها لأحد الفصول إسنادا يشمل جميع الرواة[٢] . ونلاحظ من المقتطفات فى ترجمة ابن سعد للنبى أن أبا معشر تناول قصة حياة النبى جميعها ؛ ويذكره ابن سعد فى قائمة من روى له المغازى ، وروى له تراجم الصحابة أيضا[٣] ؛ وكذلك يظهر اسمه فى الفصول الخاصة بأعوام النبى الأولى عند ابن سعد والطبرى[٤] . ويبدو أن أبا معشر ألف إلى جانب مغازيه « تاريخا » ، أى عرضا حوليا لحوادث العصر الإسلامى ، وقد وصل به إلى عام ١٧٠ هـ ، وآخر حادث اقتبسه الطبرى من كتابه وفاة الخليفة الهادى التى وقعت فى ربيع عام ١٧٠ هـ ؛ وتوفى أبو معشر نفسه بُعيد ذلك . وعلى حين يذكر أبو معشر فى المغازى رواته ، نجده لا يستعمل أى إسناد فى الغالب ، إن لم يكن دائما ، فى التاريخ ، وقد تنفعنا الفقرة الآتية وهى عند ابن سعد[٥] عن الخليفة الأموى عبد الملك ، مثالا لتناوله الحوادث التاريخية فى « التاريخ » ؛ قال : « مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، وله ستون سنة . فكانت ولايته من يوم بويع إلى يوم توفى إحدى وعشرين سنة وشهرا

---

(١) تحقيق فلوجل ٩٣ .

(٢) الفقرات فى فهرس ولهوزن . وفى ولهوزن ٣٢١ يسأله الواقدى عن خبر رواه له راو آخر .

(٣) ابن سعد ٢ : ١ ؛ ٣ : ٢١ . (٤) الطبرى ١ : ١١٩٥ .

(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ وما بعدها ؛ الطبرى ٢ : ١١٧٢ .

ونصفا . وكان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ، ويُسلَّم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب . وبقى بعد مقتل عبد الله ابن الزبير ، واجتماع الناس عليه ، ثلاثَ عَشْرَةَ سـنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال » .

الواقدىّ

ينتمى محمد بن عمر الواقدى إلى الموالى الذين كانوا يعيشون فى المدينة مثل أبى معشر . ويلقب بالواقدىّ لأن جده كان يسمى واقدا، وكان يلقب أيضا الأسلمىّ[١] لولائه لعبد الله بن بُرَيْدة من بنى أسلم المدنيين . وولد الواقدى فى المدينة عام ١٣٠ هـ تبعا لقول تلميذه ابن سعد ، أى فى خلافة مروان الثانى[٢] ، وكانت أمه من أحفاد سائب خاثر[٣] ، الذى كان أول من غنى قصائد عربية فى المدينة ، والذى حضر والده من فارس إلى المدينة أسير حرب ، ولذلك يجرى فى عروق الواقدىّ بعض الدم غير العربىّ .

---

(١) ابن سعد ٧ : ٧٧ : محمد بن عمر بن واقد الأسلمى مولى عبد الله بن بريدة الأسلمى

(٢) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : قال محمد بن سعد : أخبرنى (يعنى محمد بن عمر) أنه ولد فى سنة ثلاثين ومئة ؛ نفس المرجع ٧ : ٧٧ : وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومئة فى آخر خلافة مروان بن محمد .

(٣) الأغانى ٧ : ١٨٨ : وزعم ابن خرداذبه : أن أم محمد بن عمر الواقدى ... بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر . ح : لا أستطيع موافقة المؤلف على رأيه هذا فى سائب خاثر ، فهو ليس أول من غنى القصائد العربية ، وإنما هو أول من ابتكر نوعا خاصا من الغناء فى الحجاز ، وإن كانت الروايات تختلف عن ذلك النوع ، وأكتفى خوف التطويل باقتباس ما ذكره أبو الفرج فى الأغانى (٧ : ١٨٨) : « قال ابن الكلبى وأبو غسان وغيرهما : هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به ... قال ابن الكلبى : وهو أول صوت غنى به فى الإسلام فى الغناء العربى المتقن الصنعة ... وقال ابن الكلبى : سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل ... »

واستمع الواقدى فى بلدته إلى مجالس أشهر شراح الحديث ، وحينما زار الخليفةُ هارون الرشيد المدينة فى حجه ـ ولعله فى عام ١٧٠[١] ـ دلوه على الواقدى، ليرشده إلى المواضع المقدسة فى المدينة . ولدينا خبر واف عن هذا الخبر يرويه الواقدى نفسه ، حفظه لنا تلميذه ابن سعد[٢] :

«حج أمير المؤمنين هارون الرشيد، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد : ارتَدْ لى رجلا عارفا بالمدينة والمشاهد ، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أىِّ وجه كان يأتيه ؟ ، وقبور الشهداء . فسأل يحيى بن خالد ، فكلٌّ دله علىّ ، فبعث إلىّ ، فأتيته، وذلك بعد العصر . فقال لى : ياشيخ ، إن أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ يريد أن تصلىَ عشاء الآخرة فى المسجد، وتمضىَ معنا إلى هذه المشاهد، فتوقفنا عليها ، والموضع الذى يأتى جبريل ـ عليه السلام ـ وكن بالقرب . فلما صليت عشاء الآخرة إذا أنا بالشموع قد خرجت ، وإذا أنا برجلين على حمارين ، فقال يحيى: أين الرجل ؟ فقلت: ها أنا ذا . فأتيت به إلى دور المسجد، فقلت: هذا الموضع الذى كان جبريل يأتيه . فنزلا عن حماريهما ، فصليا ركعتين ، ودعوَا الله ساعة ، ثم ركبا وأنا بين أيديهما ، فلم أدع موضعا من المواضع ،

---

(١) الطبرى ٣ : ٦٠٥ . وحج هارون للمرة الثانية فى عام ١٨٠ ؛ الطبرى ٣ : ٦٤٥ : وفيها (يعنى سنة ١٨٠) صار الرشيد إلى البصرة منصرفه من مكة .

(٢) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها : وحدثنى أحمد بن مسبح قال : حدثنى عبد الله بن عبيد الله قال : قال لى الواقدى : حج أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فورد المدينة ، فقال ليحيى بن خالد .

ولا مشهدا من المشاهد إلا مررتُ بهما عليه ، فجعلا يصليان ، ويجتهدان فى الدعاء ، فلم نزل كذلك حتى وافينا المسجد ، وقد طلع الفجر ، وأذن المؤذن؛ فلما صارا إلى القصر، قال لى يحيى بن خالد : أيها الشيخ ، لاتبرح . فصليت الغداة فى المسجد ، وهو على الرحلة إلى مكة . فأذن لى يحيى بن خالد عليه ، بعد أن أصبحت ، فأدنى مجلسى وقال لى : إن أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ لم يزل باكيا ، وقد أعجبه مادللته عليه ، وقد أمر لك بعشرة آلاف درهم . فإذا بدرة مبدّرة قد دفعت إلىّ ، وقال لى : ياشيخ ، خذها مبارك لك فيها ، ونحن على الرحلة اليوم ، ولا عليك أن تلقانا حيث كنا واستقرت بنا الدار ، إن شاء الله . ورحل أمير المؤمنين ، وأتيت منزلى ، ومعى ذلك المال ، فقضينا منه دينا كان علينا ، وزوجت بعض الولد ، واتسعنا » .

وقد انتفع الواقدىّ بتلك الصلة التى أنشأها مع العباسيين ، فى عام ١٨٠ هـ[١] ، حين ضاقت به الحال ، وذهب إلى بغداد ، ومنها إلى الرّقة ، حيث كان الخليفة هارون فى ذلك الوقت[٢] . وحفظ ابن سعد خبرا مفصلا عن هذه الرحلة إلى الخليفة مرويا عن الواقدىّ نفسه[٣] :

« ثم إن الدهر عضنا فقالت لى أم عبد الله : » زوج الواقدى وكانت

---

(١) ابن سعد ٧ : ٧٧ : وكان من أهل المدينة ، فقدم بغداد فى سنة ثمانين ومئة ، فى دين لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقة .

(٢) الطبرى ٣ : ٦٤٦ : ثم شخص (يعنى هارون الرشيد) من مدينة السلام إلى الرقة (سنة ١٨٠) .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣١٥ وما بعدها .

كنيته أبو عبد الله : « يا أبا عبد الله ، ماقعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك ، وسألك أن تصير إليه حيث استقرت به الدار . فرحلت من المدينة ، وأنا أظن القوم بالعراق . فأتيت العراق ، فسألت عن خبر أمير المؤمنين ، فقالوا لى : هو بالرَّقة . فأردت الانصراف إلى المدينة ، فنظرت فإذا أنا بالمدينة مختل الحال ، فحملت نفسى على أن أصير إلى الرقة .

فصرت إلى موضع الكِرا ، فإذا أنا بعدة فتيان من الجند يريدون الرَّقة ، فلما رأونى قالوا : أيها الشيخ ، أين تريد ؟ فخبرتهم بخبرى ، وأنى أريد الرقة ، فنظرنا فى كرا الجمالين ، فإذا هى تُضْعِف علينا ، فقالوا : أيها الشيخ ، هل لك أن تصير إلى السفن ، فهو أرفق بنا ، وأيسر علينا من كرا الجمال . فقلت لهم : ما أعرف من هذا شيئا ، والأمر إليكم . فصرنا إلى السفن فاكترينا ، فما رأيت أحدا كان أبر بى منهم ، ولا أشفق ولا أحوط ، يتكلفون من خدمتى وطعامى مايتكلفه الولد من والده ، حتى صرنا إلى موضع الجَواز بالرقة ، وكان الجواز صعبا جدا ، فكتبوا إلى قائدهم بعِدادهم ، وأدخلونى فى عِدادهم .

فمكثنا أياما ، ثم جاءنا الإذن بأسمائنا ، فجزت مع القوم ، فصرت إلى موضع لهم فى خان نزول ، فأقمت معهم أياما ، وطلبت الإذن على يحيى بن خالد ، فصعب علىّ ، فأتيت أبا البَخْتَرِىّ » أى وهب ابن وهب الذى كان قاضيا حينئذ ، « وهو بى عارف ، فلقيته فقال لى : يا أبا عبد الله ، أخطأت على نفسك وغُرِّرت ، ولكن لستُ أدع أن أذكرك له . وكنت أغدو إلى بابه وأروح ، فقلّت نفقتى ، واستحييت

من رُفقائى ، وتخرَّقتْ ثيابى ، وأيِسْتُ من ناحية أبى البخترىّ . فلم أخبر رفقائى بشىء ، وعدت منصرفا إلى المدينة .

فمرة أنا فى سفينة ، ومرة أمشى حتى وردت السَّيْلَحين . فبينا أنا مستريحا فى سوقها ، إذا أنا بقافلة من بغداد ، فسألت : من هم ؟ فأخبرونى أنهم من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن صاحبهم بكّار الزُّبَيْرى ، أخرجه أمير المؤمنين ليوليه قضاء المدينة ، والزبيرىّ أصدق الناس لى . فقلت : أدعُه حتى ينزل ويستقر ، ثم آتيه ، فأتيته بعد أن استراح ، وفرغ من غَدائه ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فسلمت عليه ، فقال لى : يا أبا عبد الله : ماذا صنعت فى غيبتك ؟ فأخبرته بخبرى وبخبر أبى البخترىّ ، فقال لى : أما علمت أن أبا البخترى لا يحب أن يذكرك لأحد ، ولا ينبِّه باسمك ، فما الرأى ؟ فقلت : الرأى أن أصير إلى المدينة . فقال : هذا رأى خطأ ، خرجتَ من المدينة على ماقد علمتَ ولكن الرأى أن تصير معى ، فأنا الذاكر ليحيى أمرك .

فركبت مع القوم حتى صرت إلى الرقة . فلما عَبَرنا الجواز قال لى : تصير معى ؟ فقلت : لا ، أصير إلى أصحابى ، وأنا مبكر عليك غدا ، لنصير جميعا إلى باب يحيى بن خالد ، إن شاء الله . فدخلت على أصحابى ، فكأنى وقعت عليهم من السماء ، ثم قالوا لى : يا أبا عبد الله ، ما كان خبرك ؟ فقد كنا فى غم من أمرك ؟ فخبرتهم بخبرى ، فأشار علىّ القوم بلزوم الزبيرى ، وقالوا : هذا طعامك وشرابك ، لاتهتمّ له .

فغدوت بالغداة إلى باب الزبيرىّ ، فخُبِّرت بأنه قد ركب إلى باب

يحيى بن خالد ، فأتيت باب يحيى بن خالد ، فقعدت مليا ، فإذا صاحبي قد خرج ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، أُنسيتُ أن أذاكره أمرك ، ولـكن قف بالباب حتى أعود إليه . فدخل ثم خرج إلىّ الحاجب ، فقال لى : ادخل . فدخلت عليه فى حالة خسيسة ، وذلك فى شهر رمضان ، وقد بقي من الشهر ثلاثة أيام أو أربعة . فلما رآنى يحيى بن خالد فى تلك الحال ، رأيت أثر الغم فى وجهه ، وسلم علىّ وقرّب مجلسى ، وعنده قوم يحادثونه ، فجعل يذاكرنى الحديث بعد الحديث ، فانقطعتُ عن إجابته ، وجعلت أجىء بالشىء ليس بالموافق لما يسأل ، وجعل القوم يجيبون بأحسن الجواب وأنا ساكت .

فلما انقضى المجلس، وخرج القوم خرجت، فإذا خادم ليحيى بن خالد قد خرج ، فلقينى عند الستر ، فقال لى : إن الوزير يأمرك أن تُفْطِر عنده العشية . فلما صرت إلى أصحابى خبرتهم بالقضية ، وقلت: أخاف أن يكون غَلط بى . فقال لى بعضهم : هذه رغيفان وقطعة جُبن ، وهذه دابتى ، تركب والغلام خلفك ، فإن أذن لك الحاجب بالدخول دخلت ، ودفعتَ مامعك إلى الغلام ، وإن تكن الأخرى صرتَ إلى بعض المساجد ، فأكلتَ مامعك وشربتَ من ماء المسجد .

فانصرفتُ فوصلتُ إلى باب يحيى بن خالد، وقد صلى الناس المغرب . فلما رآنى الحاجب قال : يا شيخ ، أبطأتَ وقد خرج الرسول فى طلبك غير مرة . فدفعتُ ما كان معى إلى الغلام ، وأمرته بالمقام . فدخلت فإذا القوم قد توافَوا ، فسلمتُ وقعدت ، وقُدّم الوَضوء فتوضأنا ، وأنا أقربُ

القوم إليه ، فأفطرنا ، وقَرُبَتْ عشاء الآخرة ، فصلى بنا ، ثم أخذنا مجالسنا ، فجعل يحيى يسألنى وأنا منقطع ؛ والقوم يجيبون بأشياء هى عندى على خلاف ما يجيبون .

فلما ذهب الليل ، خرج القوم ، وخرجت خلف بعضهم ، فإذا غلام قد لحقنى ؛ فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه قابلة ، قبل الوقت الذى جئت فيه يومك هذا . وناولنى كيسا ما أدرى مافيه إلا أنه ملأنى سرورا ، فخرجت إلى الغلام ، فركبت ومعى الحاجب ، حتى صيَّرنى إلى أصحابى ، فدخلت عليهم ، فقلت: اطلبوا لى سراجا . فقَضَضت الكيس فإذا دنانير ، فقالوا لى : ما كان ردُّه عليك ؟ فقلت : إن الغلام أمرنى أن أوافيه قبل الوقت الذى كان فى ليلتى هذه . وعددت الدنانير فإذا خمس مئة دينار ، فقال لى بعضهم : علىَّ شراء دابتك . وقال آخر : علىَّ السَّرْج واللجام وما يُصْلحه . وقال آخر : علىَّ حمّامك وخضاب لحيتك وطيبك . وقال آخر : علىَّ شراء كسوتك ؛ فانظر فى أىِّ الزى القوم ؟ فعددت مئة دينار ، فدفعتها إلى صاحب نفقتهم ، فحلف القوم بأجمعهم : إنهم لا يرزءونى دينارا ولادرهما .

وغدوا بالغداة ، كل واحد على ما انتدب لى فيه . فما صليت الظهر إلا وأنا من أنبل الناس ، وحملت باقىَ الكيس إلى الزُّبَيرى . فلما رآنى بتلك الحال سُرَّ سرورا شديدا ، ثم أخبرته الخبر ؛ فقال لى : إنى شاخص إلى المدينة . فقلت : نعم ، إنى قد خلفت العيال على ما قد علمت . فدفعت إليه مئتى دينار يوصلها إلى العيال . ثم خرجت من عنده ، فأتيت أصحابى بجميع ما كان معى من الكيس .

ثم صليت العصر ، فتهيأت بأحسن هيئة ؛ ثم حضرت إلى باب يحيى بن خالد ، فلما رآنى الحاجب قام إلىَّ ، فأذن لى ، فدخلت على يحيى ، فلما رآنى فى تلك الحال، نظرت إلى السرور فى وجهه ؛ فجلست فى مجلسى: ثم ابتدأت فى الحديث الذى كان يذاكرنى به والجواب فيه . وكان الجواب على غير ما كان يجيب به القوم ؛ فنظرت إلى القوم وتقطيبهم لى وأقبل يحيى يسائلنى عن حديث كذا وحديث كذا ، فأجيب فيما يسألنى والقوم سكوت، ما يتكلم أحد منهم بشىء .

فلما حضرت المغرب تقدم يحيى فصلى ، ثم أُحضر الطعام فتعشينا ، ثم صلى بنا يحيى عشاء الآخرة، وأخذنا مجالسنا، فلم نزل فى مذاكرة ، وجعل يحيى يسأل بعض القوم فينقطع . فلما كان وقت الانصراف انصرف القوم وانصرفت معهم ، فإذا الرسول قد لحقنى ، فقال : إن الوزير يأمرك أن تصير إليه فى كل يوم فى الوقت الذى جئت فيه يومَك هذا ، وناولنى كيسا . فانصرفت ومعى رسول الحاجب، حتى صرت إلى أصحابى ، وأصبت سراجا عندهم ، فدفعت الكيس إلى القوم ، فكانوا به أشد سرورا منى .

فلما كان الغد ، قلت لهم : أعِدّوا لى منزلا بالقرب منكم ، واشتروا لى جارية ، وغلاما خبازا ، وأثاثا ، ومتاعا . فلم أصل الظهر إلا وقد أعدوا لى ذلك ، وسألتهم أن يكون إفطارهم عندى ، فأجابوا إلى ذلك بعد صعوبة شديدة .

فلم أزل آتى يحيى بن خالد ، فى كل ليلة فى الوقت ، وكلما رآنى ازداد سرورا . فلم يزل يدفع إلىَّ كل ليلة خمس مئة دينار . حتى كان ليلة العيد ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، تزين غدا لأمير المؤمنين بأحسن

زى من زى القضاة ، واعترِض له ، فإنه يسألنى عن خبرك فأخبره . فلما كان صبيحة يوم العيد ، خرجت فى أحسن زى ، وخرج الناس ، وخرج أمير المؤمنين إلى المصلى ، فجعل أمير المؤمنين يلحظنى ، فلم أزل فى الموكب . فلما كان بعد انصرافه ، صرت إلى باب يحيى بن خالد ، ولحقنا يحيى بعد دخول أمير المؤمنين منزله ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، ادخل بنا . فدخلت ودخل القوم ، فقال لى : ياأبا عبد الله ، مازال أمير المؤمنين يسألنى عنك ، فأخبرته بخبر حجنا ، وأنك الرجل الذى سايرته تلك الليلة ، وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، وأنا مُتَنَجِّزُها لك غدا إن شاء الله .

ثم انصرفت يومى ذلك، فدخلت من الغد على يحيى بن خالد، فقلت : أصلح الله الوزير حاجة عرضت ، وقد قضيت على الوزير — أعزه الله — بقضائها . فقال لى : وما ذلك ؟ فقلت : الإذن إلى منزلى ، فقد اشتد الشوق إلى العيال والصبيان . فقال لى : لاتفعل . فلم أزل أنازله حتى أذن لى ، واستخرج لى الثلاثين ألف درهم . وهُيِّئَتْ لى حَرّاقة[1] بجميع ما فيها ، وأمر أن يُشترى لى من طرائف الشام ، لأحمله معى إلى المدينة ، وأمر وكيله بالعراق أن يكترى لى إلى المدينة ، لا أكلّف نفقة دينار ولا درهم . فصرت إلى أصحابى فأخبرتهم بالخبر ، وحلفت عليهم أن يأخذوا منى ما أصلهم به ، فحلف القوم أنهم لا يرزءونني دينارا ولا درهما . فوالله ما رأيت مثل أخلاقهم ، فكيف ألام على حبى ليحيى بن خالد ؟ » .

وتدلنا هذه الكلمات الأخيرة على أن الواقدى لم يرو هذه القصة إلا بعد نكبة يحيى (١٨٧ هـ) ؛ لأنه لم يكن بحاجة للخوف من لومه على حب

(١) الحراقة : نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر — ح .

يحيى قبل هـذه النكبة . ويذكر الواقدى فى موضع آخر هبات يحيى مع كل عرفان بجميلها .

ونذكر هنا مثالا آخر على استعداد يحيى للمساعدة ، حفظه أيضا تلميذه ابن سعد[1] ، ويمكننا فى نفس الوقت من إلقاء نظرة على تصور الناس للصداقة فى ذلك العصر :

« حدثنى عبد الله بن عبيد الله ، قال : كنت عند الواقدى جالسا إذ ذُكِر يحيى بن خالد بن بَرْمك ، قال : فترحم عليه الواقدى ، فأكثر الترحم ؛ قال : فقلنا له : يا أبا عبد الله ، إنك لتُكْثِر الترحم عليه ؟ قال : وكيف لا أترحم على رجل أُخبرك عن حاله : كان قد بقى علىّ من شهر شعبان أقل من عشرة أيام ، وما فى المنزل دقيق ، ولا سويق ، ولا عَرَض من عروض الدنيا . فميزت ثلاثة من إخوانى فى قلبى ، فقلت : أُنْزِل بهم حاجتى . فدخلتُ على أم عبد الله ، وهى زوجتى ، فقالت : ماوراءك ، يا أبا عبد الله ؟ وقد أصبحنا وليس فى البيت عَرَض من عروض الدنيا : من طعام ، أو سويق ، أو غير ذلك ؛ وقد ورد هذا الشهر ؟ فقلت لها : قد ميزت ثلاثة من إخوانى أُنزل بهم حاجتى . فقالت : مَدَنيون أو عراقيون ؟ قال : قلت : بعض مدنى ، وبعض عراق . فقالت : اعْرِضْهم على ، فقلت لها : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو يسار ، إلا أنه منّان ، لا أرى لك أن تأتيه ؛ فسَمِّ الآخر . فسميت الآخر ، فقلت : فلان . فقالت : رجل حسيب ذو مال إلا أنه بخيل ، لا أرى لك أن تأتيه . قال : فقلت : فلان ، فقالت رجل كريم حسيب لا شىء عنده ، ولا عليك أن تأتيه .

---

(١) ابن سعد ٥ : ٣١٩ .

قال: فأتيته فاستفتحت عليه الباب ، فأذن لى عليه . فدخلت فرحب وقرب ، وقال لى : ما جاء بك أبا عبد الله ؟ فأخبرته بورود الشهر وضيق الحال ، قال : ففكر ساعة ، ثم قال لى : ارفع ثِنْيَ الوسادة ، فخذ ذلك الكيس ، فطهّره واستنفقه ؛ فإذا هى دراهم مكحّلة . فأخذت الكيس ، وصرت إلى منزلى ، فدعوت رجلا كان يتولى شراء حوائجى ، فقلت : اكتب من الدقيق عشرة أقفزة ، ومن الأرز قفيزا ، ومن السكر كذا ، حتى أقضى جميع حوائجه .

فبينا نحن كذلك إذ سمعت دق الباب ، فقلت : انظروا من هذا ؟ فقالت الجارية : هذا فلان بن فلان بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب . فقلت : ائذنى له . فقمت له عن مجلسى ، ورحبت به وقربت ، وقلت له : يابن رسول الله ؛ ماجاء بك ؟ فقال لى : ياعمّ ، أخرجنى ورود هذا الشهر وليس عندنا شىء . ففكرت ساعة ، ثم قلت له : ارفع ثِنى الوسادة ، فخذ الكيس بما فيه . فأخذ الكيس . ثم قلت لصاحبى : اخرج ، فخرج . فدخلتُ أم عبد الله ، فقالت لى: ماصنعت فى حاجة الفتى؟ فقلت لها : دفعتُ إليه الكيس بأسره . فقالت : وفّقتَ وأحسنت .

ثم فكرتُ فى صديق لى بقرب المنزل، فانتعلت وخرجت إليه. فدققت الباب، فأذن لى . فدخلت فسلم علىّ ورحب وقرب ، ثم قال لى: ماجاء بك أبا عبد الله ؟ فخبّرته بورود الشهر وضيق الحال . ففكر ساعة ، ثم قال لى : ارفع ثِنى الوسادة ؛ فخذ الكيس ؛ فخذ نصفه وأعطِنا نصفه . فإذا كيس بعينه، فأخذت خمس مئة درهم، ودفعت إليه خمس مئة . وصرت إلى منزلى ،

فدعوت الرجل الذى كان يلى شراء حوائجى ، فقلت له : اكتب خمسة أقفزة دقيق ... فكتب لى جميع ما أردت من حوائجى .

فبينا أنا كذلك إذا أنا بداقٍّ يدق الباب ، فقلت للخادم : انظرى من هذا؟ فخرجتْ ثم رجعت إلىَّ فقالت: خادم نبيل. فقلت لها: ائذنى له . فنزل فإذا كتاب من يحيى بن خالد يسألنى المصير إليه فى وقته ذلك . فقلت للرجل: اخرج، ولبست ثيابى، وركبت دابتى، ثم مضيت مع الخادم؛ فأتيت منزل يحيى بن خالد رحمه الله ، فدخلت عليه وهو جالس فى صحن داره ، فلما رآنى وسلمتُ عليه ، رحَّب وقرب ، وقال: ياغلام ، مِرْفَقة ، فقعدت إلى جانبه، فقال لى : أبا عبد الله، تدرى لِمَ دعوتك ؟ فقلت : لا . فقال : أسهرتنى ليلتى هذه فكرة فى أمرك ، وورود هذا الشهر وماعندك . فقلت : أصلح الله الوزير ، إن قصتى تطول . فقال لى : إن القصة كلما طالت كان أشهى لها، فخبرتُه بحديث أم عبدالله، وحديث إخوانى الثلاثة، وما كان من ردّها لهم، وخبرته بحديث الطالبىّ، وخبر أخى الثانى المواسى له بالكيس، فقال: ياغلام ؛ دواة . فكتب رقعة إلى خازنه ، فإذا كيس فيه خمس مئة دينار ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، استعن بهذا على شهرك . ثم رفع رقعة إلى خازنه ، فإذا صُرَّة فيها مئتا دينار . فقال: هذا لأم عبد الله لجزالتها وحسن عقلها ؛ ثم رفع رقعة أخرى ، فإذا مئتا دينار ، فقال هذا للطالبى . ثم رفع رقعة أخرى فإذا صرة فيها مئتا دينار، فقال: هذا للمواسى لك . ثم قال لى: انهض أبا عبد الله فى حفظ الله . قال : فركبت من فورى ؛ فأتيت صاحبى الذى واسانى بالكيس ؛ فدفعت إليه المئتى دينار . وخبَّرته بخبر يحيى

ابن خالد ، فكاد يموت فرحا ؛ ثم أتيت الطالبي ، فدفعت إليه الصُّرة ؛ وأخبرته بخبر يحيى بن خالد ، فدعا وشكر ؛ ثم دخلت منزلى ، فدعوت أم عبد الله ، فدفعت إليها الصرة ، فدعت وجزت خيرا . فكيف ألام على حب البرامكة : يحيى بن خالد خاصة ؟ » .

ويروى المسعودى[١] ، وياقوت[٢] ، وابن خَلِّكان[٣] نفس القصة مع بعض اختلافات ؛ فهم يقولون : إنها حدثت فى عهد الخليفة المأمون ، ولكن خبر ابن سعد يَعرض أقدم حديث مروىّ عن الواقدى نفسه .

وتقول رواية لايُعرف راويها[٤] : إن هارون الرشيد عين الواقدىّ قاضيا على الجانب الشرقى من بغداد ، ويظهر من خبر آخر أنه كان قاضيا فى عام ١٨٧ هـ : أى فى عهد هارون[٥] . ولا تعرف أقدم التراجم شيئا من ذلك ، ولا تذكر إلا أن المأمون عين الواقدى قاضى عسكر المهدى أو الرصافة[٦] (فى الجانب الشرقى من بغداد[٧]) بعد دخوله (الواقدىّ) بغداد فى أوائل عام ٢٠٤ هـ[٨] ، وكان المأمون يثق به . ويروى أنه حين

---

(١) مروج ، طبع القاهرة ٢ : ٢٦٢ . (٢) ت . مرجليوث ٧ : ٥٥ .
(٣) طبع بولاق ١ : ٦٤٠ وما بعدها (٤) ياقوت ، مرجليوث ٧ : ٥٦ .
(٥) ابن حجر ٩ : ٣٦٤ .
(٦) الطبرى ٣ : ١٠٣٧ . (٧) ياقوت ، ت . وستنفلد ٣ : ٦٧٧ .
(٨) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ٢٥٨ ؛ ياقوت ، ت . مرجليوث ٧ : ٥٥ ؛ السمعانى ٥٧٧ . لايقول ابن قتيبة ، كما يدعى ابن خلكان ١ : ٧٢٣ ، أن الواقدى كان قاضيا على الجانب الغربى من بغداد ، وإنما يقول إن قاضى الجانب الغربى من المقابر صلى عليه . ابن سعد ٥ : ٣٢١ .

تقدم منه ليسأله قضاء ديونه[١] — التى كان سخاء الواقدىّ يوقعه فيها على الدوام[٢] — كتب الخليفة على هامش الرقعة : « فيك خَلتان : سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ماملكت ، والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك ؛ وقد أمرنا لك بضعف ماسألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك ، فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد فى بسطة يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة ، وأنت حدثتنى حين كنت على قضاء الرشيد ، أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير : يازبير، إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، يُنزل الله — سبحانه — للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كَثَّر كُثِّر له ، ومن قَلَّل قُلِّل عليه . قال الواقدىّ : وكنت نسيت الحديث ، وكان تذكيره لى به أعجب من صلته .

وتُوفى الواقدىُّ فى خلافة المأمون ، وقد عهد إليه الواقدى فى تنفيذ وصيته[٣] فى أواخر عام ٢٠٧ هـ ، وله من العمر ٧٨ عاما ، ودفن فى مقابر الخيزُران[٤] .

وكان الواقدىّ مشغوفا بجمع المعارف المنتشرة فى عصره ، فنسخ

---

(١) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ : وكان جوادا كريما مشهورا بالسخاء .

(٢) ياقوت ، ت . مرجليوث ٧ : ٥٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٢١ : وأوصى محمد بن عمر إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فقبل وصيته ، وقضى دينه .

(٤) ابن سعد ٥ : ٣٢١ ، ٧ : ٧٧ ؛ ابن قتيبة : ٢٥٨ ؛ الفهرست ٩٨ .

جميع الكتب التى أمكنه الحصول عليها . ويروى أنه خلف بعد وفاته ست مئة قِمَطْر كتب[١]، من نسخ غلامين مملوكين كانا يكتبان الليل والنهار. أضف إلى ذلك أنه اشترى كتبا بألفى دينار . وكانت هذه الكتب أساس نشاطه الأدبى الخاص ، الذى شمل ميادين مختلفة . ويَحْوِى الفهرست قائمة بمؤلفاته تتكون من ٢٨ كتابا[٢] ، ويعطينا ياقوت فى « معجم الأدباء » قائمة توافقها فى الأمور الجوهرية[٣]. وهاك أسماء هذه الكتب :

(ا) **كتب فى الفقه ، والقرآن ، والحديث ... الخ**

(١) كتاب الاختلاف : اختلاف آراء فقهاء المدينة والكوفة فى الشُّفعة ، والصدقة ، والرُّقبَى ، والأبواب الأخرى من الفقه[٤] .

(٢) كتاب غلط الحديث .

(٣) كتاب السنة والجماعة وذم الهوى[٥] .

(٤) كتاب ذكر القرآن .

(٥) كتاب الأدب .

(٦) كتاب الترغيب فى علم القرآن[٦] .

(ب) **الكتب التاريخية :**

(٧) التاريخ الكبير .

---

(١) الفهرست ٩٨ .
(٢) ت . فلوجل ٩٨ .
(٣) ٧ : ٥٨ .
(٤) وذكر الفهرست أبوابا أخرى .
(٥) يضيف الفهرست : وترك الخوارج فى الفتن .
(٦) فى الأصل : الرغيب فى علم القرآن وغلط الرجال .

(٨) التاريخ والمغازى والبعث .

(٩) أخبار مكة .

(١٠) أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

(١١) وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

(١٢) السَّقيفة و بيعة أبى بكر .

(١٣) سِيرة أبى بكر ووفاته .

(١٤) الرِّدة والدار .

(١٥) السِّيرة .

(١٦) أمر الحبشة والفيل .

(١٧) حرب الأَوْس والخَزْرج .

(١٨) المَناكِح[1] .

(١٩) يوم الجمل .

(٢٠) صِفِّين .

(٢١) مولد الحسن والحسين .

(٢٢) مَقتل الحسين[2] .

(٢٣) فتوح الشام .

(٢٤) فتوح العراق .

---

(١) قد يكون كتابا عن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء ، ولكن لابد أن يكون رسالة تاريخية مادام ياقوت وضعه بين الكتب التاريخية .

(٢) يذكر الفهرست أيضا كتابا يسمى « مقتل الحسن » .

(٢٥) ضرب الدنانير والدراهم .

(٢٦) مراعى قريش والأنصار فى القطائع ، ووضع عمر الدواوين .

(٢٧) الطبقات .

(٢٨) تاريخ الفقهاء[١] .

ويذكر ابن سعد[٢] أيضا ، بالإضافة إلى الكتب المسماة فى هذه القائمة ، « كتاب طُعَم النبىّ » ، ومن الواضح أنه يتناول الدخْل المفروض لأزواج النبى وأشخاص آخرين من أرض خيبر ؛ وربما لايكون غير فصل من «المراعى»، ولهذا السبب لم يذكر فى الفهرست ولاعند ياقوت . ويعالج كتابان من الكتب التاريخية (السادس عشر والسابع عشر ، وربما التاسع أيضا) موضوعات من التاريخ الجاهلى لمكة والمدينة ؛ وتتناول أربعة (٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥) تاريخ النبىأونواحى خاصة منه، أما الكتب الباقية فتتناول أجزاء من تاريخ الإسلام بعد وفاة النبى . وقد حُفِظت مقتطفات من كثير من هذه الكتب عند مؤرخين مختلفين ، ولدينا من « كتاب الردة والدار » للواقدىّ عدة مقتطفات فى « كتاب غزوات » ابن حُبيش (المتوفَّى عام ٥٨٤ هـ) الذى لم يطبع بعد ، وأكثرَ «ليون كيتانى دوق سرمونت » من استخدامه فى كتابه « حوليات الإسلام » فى فصل الردة ــ أى ثورة القبائل العربية بعد وفاة النبى . وكان كتاب الواقدى هذا

---

(١) يزيد الفهرست فى النهاية : وتصانيف القبائل ومراتبها وأنسابها .

(٢) ٨ : ٣٢ .

مشهورا فى أسبانيا سابقا ، ويُذكر مثلا فى فَهرسة ابن خير[١] (المتوفى عام ٥٧٥هـ) . ويسمى هناك « كتاب الرِّدة » ، على حين يظهر فى الكتب الأخرى تحت عنوان « كتاب الردة والدار » . ومن المحتمل أنهم يَعنون بالدار « يوم الدار » ، وهو ما يعبرون به عادة عن يوم مقتل الخليفة عثمان . وليس من الواضح لدينا كيفية معالجة الواقدى للردة فى عام ١١ هـ مع يوم الدار فى عام ٣٥ هـ فى كتاب واحد . وربما كانا كتابين مستقلين فى الأصل ، ضُما خطأ فى كتاب واحد فيما بعد[٢] ؛ وتوجد عِدَّة أخبار للواقدىّ عند الطبرىّ[٣] ، ويظن أنها من « كتاب الدار » .

ومن الواضح أن « التاريخ الكبير » كان كتابا حُصِرت فيه جميع أحداث التاريخ الإسلامى الهامة على حسب سِنى وقوعها ، ووصل فيه إلى عام ١٧٩ هـ على الأقل[٤] وقد حفظ الطبرى قطعا عديدة من « التاريخ » الذى يبدو أن الواقدىّ أتمه قبل إقامته فى بغداد .

ويزوّدنا « كتاب الطبقات » للواقدىّ ـ وكان الواقدىّ أول من ألف مثل هذا الكتاب بعد الهيثم بن عدىّ[٥] ـ بأساس كتاب تلميذه ابن سعد المماثل ، ويظهر من الأخير أن الواقدىّ وجه أكثر عنايته إلى طبقات الصحابة وسُلالاتهم فى المدينة ، وإلى طبقات محدِّثى الكوفة والبصرة ،

---

(١) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٣٧ .

(٢) كيتانى : حوليات الإسلام Annali dell' Islam سنة ١١ § ٧٠ .

(٣) الطبرى : ١ : ٢٩٤١ ـ ٣٠٦٠ . (٤) الطبرى ٣ : ٦٣٩ .

(٥) لث Loth فى مجلة جماعة المستشرقين الألمان ، المجلد ٢٣ ، ص ٦٠٣ .

وإن كان ينقصه بعض النظام[١] . وهكذا يمكننا أن ننظر إلى « كتاب الطبقات » للواقدى على أنه تكملة لكتبه الأخرى المخصَّصة لحياة النبي . واستخدم ابن سعد من هذه الكتب ، الكتبَ التى تتناول أزواج النبي ووفاته فى الفصول الموافقة لها من كتابه . واستخدم فصلا آخر يورد فيه رسائل النبي مجتمعة ، ولكنه غير مذكور مثل الكتب المستقلة ، ولعله فصل من السيرة[٢] وكذلك يوجد كثير من «سيرة» الواقدى أو «كتاب البعث » الذى من الواضح أنه يتناول الفترة منذ بعث النبي إلى هجرته إلى المدينة ، يوجد كثير منهما فى المواضع الأخرى من ابن سعد . ويذكر ابن سعد الواقدىّ مرة أو مرتين ، على أنه روى تاريخ أهل الكتاب ، ولكن يظهر أن الواقدىّ لم يعط ذلك التاريخ أهمية كبيرة ؛ ويظهر الواقدىّ كثيرا أيضا فى رُواة حوادث العهد المكى .

ولم يبق لنا من جميع كتابات الواقدىّ كتاب هام كامل غير « كتاب المغازى». وقد نشر الفِرِدْ فُونْ كِرِيمَر Alfred Von Kremer الثلث الأول منه فى « المكتبة الهندية » عن مخطوط غير كامل وجده فى دمشق[٣] .

---

(١) لث : نفس المرجع ٦٠٤ ، ٦٠٧ الملاحظة ٤ ؛ ابن سعد ٥ : ٣١٤ . ويعطينا الواقدى تاريخ وفاة محدث مات فى المدينة عام ١٨٦ هـ . وربما أكمل هذا الكتاب فى المدينة ، وقد أضيفت إليه إضافات فى بغداد فيما بعد .

(٢) لمعرفة الصلة بين هذا الباب من كتاب ابن سعد وبين الواقدى انظر «بانث» D.H.Baneth . إضافات لنقد كتابات محمد ومعانيها اللغوية (مقالات مختارة برلين ١٩٢٠) .

(٣) مغازى الواقدى تحقيق الفردفون كريمر ، كلكتا ١٨٥٦ ، ولا يصل كتاب الواقدى إلا إلى الصفحة ٣٦٠ ، السطر ١٠ ، أما مايلى ذلك فمأخوذ من كتاب متأخر وكذلك لا يرجع للواقدى ابتداء من الصفحة ١ ، السطر ٩ إلى الصفحة ٩ ، السطر ٢ .

وتوجد مخطوطة أخرى ناقصة ؛ وثالثة كاملة فى المتحف البريطانى ، ويعتمد الموجز الألمانى الذى نشره يوليوس ولهوزن Julius Wellhausen باسم « محمد فى المدينة » على هـــذه المخطوطات . وبعد أوجست فيشر August Fischer نسخة كاملة من النص العربى فى ليبزج[١] .

ويذكر الواقدى فى بداية « كتاب المغازى » قائمة بمن أكثر عنهم الرواية ، تتألف من خمسة وعشرين اسما ، ويذكر تلميذُه ابن سعد أيضا أحد عشر منهم بأنهم رواة الواقدى الرئيسيون فى « المغازى[٢] » . ويبدو من هذه القائمة ، التى علق عليها سخاو Sachau[٣] بالتفصيل ، أن الواقدى لابدّ أنه شرع يجمع مادته فى زمن مبكر ، لأن بعض هؤلاء الرواة المباشرين مات بعد عام ١٥٠ هـ بزمن قليل ، أى حين كان الواقدى فى الخامسة والعشرين أو أصغر ؛ وجميع هؤلاء الرواة تقريبا من أهل المدينة أو عاشوا هناك ؛ ولذلك يمكن اعتبار الواقدى ممثلا للمدرسة المدنية . ولـكن القائمة المذكورة فى بداية الـكتاب لاتشمل جميع من روى عنهم الواقدى مباشرة ، وإنما الذين تعتمد عليهم روايته الرئيسة فقط . وقد أدخل فى كثير من الأحيان رواياتٍ فردية كان يذكر إسنادها الخاص فى كل مرة . ويشمـل فهرست الرواة الذى أضافه ولهوزن لترجمته ، جميعَ الرواة

---

(١) ت . كريمر رقم ١ السطر ٩ إلى ٢ سطر ٦ .

(٢) ابن سعد ٢ : ١ السطور ٣ ــ ١٠ . توجد القائمة المكونة من ستة أسماء ممن روى للواقدى مغازى النبى فى ابن سعد ١ ، ق ٢ : ١٥ ؛ أما التى تتكون من ٨ أسماء من رواته الرئيسيين فى الطبقات فتوجد فى نفس المرجع ٣ : ١ .

(٣) دراسة رواة تاريخ العرب القدماء ٢١ .

الذين ذكرهم الواقدى ؛ و يبرز من بين هؤلاء الرواة المباشرين وغير المباشرين مؤلفو المغازى الذين ذكرناهم آنفا : الزهرى ، ومعمر ، وأبو معشر ، وكذلك موسى بن عُقبة ، وإن كان أقل منهم ؛ أما ابن إسحاق فلا يذكره أبدا . وتستحق هذه الظاهرة عناية خاصة ، لأن الواقدىّ فى الترجمة الموجودة فى الطبرى[١] ، يصرح بإعجابه العظيم بابن إسحاق ، يقول : «وكان من أهل العلم بالمغازى ـ مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ و بأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم ، راوية لأشعارهم ، كثير الحديث ، غزير العلم ، طَلّابة له ، مقدّما فى العلم بكل ذلك ثقة» . ولا يمكن الشك فى أن الواقدى استخدم كتاب ابن إسحاق[٢] ؛ ولعله أخذ منه أكثر من أى شخص آخر ممن تقدمه ، ومن الممكن أن يكون ذلك سبب عدم ذكره ، لأنه لم يرغب فى جعل ما أخذه واضحا بارزا بالإكثار من ذكر اسمه ، وأرضى نفسه بضمه إلى تلك المراجع غير المذكورة التى يقول عنها فى نهاية قائمته « وغيرهم قد حدّثنى أيضا » .

ولكن الواقدىّ استخدم إلى جانب ابن إسحاق ، جميع المراجع الأخرى التى أمكنه الحصول عليها بأية طريقة ، و يقدم قدرا كبيرا غير موجود عند ابن إسحاق على الإطلاق ، أو على أى حال لم يروه نفس رواة الواقدى فى كتابه . و« كتاب المغازى» أغنى فى أخبار الفترة المدنية من كتاب ابن إسحاق ، و إن كان لا ينطوى قسط من هذه الأحاديث تحت التاريخ ،

---

(١) الطبرى ٣ : ٢٥١٢ .

(٢) توجد الأدلة عند ولهوزن ١٢ وما بعدها ، وانظر هوروفتس : حول مخطوطة كتاب المغازى للواقدى (برلين ١٨٩٨) ص ٩ وما بعدها .

وإنما تحت الحديث الفقهى . فيقترب كتاب الواقدىّ من هذه الناحية من مجموعات الحديث . والواقدىّ يربط الحديث بالآخر ببساطة دون أن يحاول ربطهما بالإضافات أو النظرات الخاصة ، كما يفعل ابن إسحاق فى عامة الأمر .

ويكثر الواقدى أيضا من الاستشهاد بالقصائد ، وإن كانت هذه القصائد فى الحقيقة غير موجودة فى المخطوطات التى وصلت إلينا ، إما لأن الواقدى نفسه لم يُدخلها فى تلك المناسبة ، وإما لأن أحد رُواة كتابه تركها . وحتى إذا عثرنا على جميع القصائد المذكورة ، فإنها لا تبلغ قدر ما استشهد به ابن إسحاق .

ويستخدم الواقدى ، إلى جانب كتابات من تقدمه[1] ، المراجعَ الأصلية أيضا ، متابعا النصوص التى ذكرها المتقدمون أحيانا ، والأصولَ التى اختبرها بنفسه أحيانا أخرى[2] . فيدون الواقدىّ فى «كتاب المغازى» بعضَ أوامر النبى ومعاهداته ، ويعتمد الفصلُ الذى خصصه ابن سعد لرسائل النبى أكثر اعتماده على مجموعة الوثائق التى جمعها الواقدى على أساس جهود من تقدمه .

ويتبع الواقدى خِطة ثابتة فى عرضه المغازى : فيبدأ بذكر عام خروج

---

(١) يقول (ابن سعد ١ : ٣٩) الواقدى : حدثنى عبد الله بن جعفر الزهرى قال : وجدت فى كتاب أبى بكر بن عبد الرحمن بن المسور . . . الخ ؛ نفس المرجع ٢ : ٦٩ : حدثنى موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : وجدت هذا فى صحيفة بخط أبى فيها . . . الخ .

(٢) وكذلك يقول الواقدى فى ابن سعد ١ ق ٢ : ٣٧ : قال محمد بن عمر : نسخت كتاب أهل أذرح ، فإذا فيه ... الخ .

الغزوة من المدينة ورجوعها ، ويتبعه بأخبار الغزوة ـ ويتألف العرض فى الفصول الطويلة من خبر رئيس واحد مكوّن من كثير من الروايات الفردية التى يضيف إليها أخباره الخاصة ـ ويذكر فى النهاية ، فى غالب الأحيان ، نائب النبى على المدينة فى غيابه ، وبعض الأشعار والآيات التى تحتوى على إشارات للحادث الذى يعالجه ، وقوائم ... الخ .

ولا يتكلم الواقدىّ عن نفسه فى كتابه إلا نادرا ، اللهم إلا فى الإسناد « وحُدِّثت كذا وكذا » . ومع ذلك ، ليس الواقدىّ جامعا ومنظما من الدرجة الأولى للمادة التى يرويها له الآخرون فحسب ، فهو يفوق من تقدمه فى تحديد تواريخ الحوادث ، وليس تاريخه[1] مجرد تكرار لحقائق معروفة من قبل ، وإنما ثمرة بحث مستقل . أضف إلى ذلك أن الواقدىّ دوّن ملاحظاته الخاصة على أصول الأحاديث ، وقد حفظ ابن سعد[2] مقالا طويلا شاملا من الواقدىّ ، يقرر فيه رأيه دون أن يشير أى راو مهما كان ، ولا يستثنى من ذلك فى النادر إلا الكاتب الذى قلما يروى أخبارا مفصلة ، دون أن يذكر الإسناد الصحيح . وذلك بالطبع بغض النظر عن تفاصيل الترجمة الأصلية المذكورة سابقا .

وعلى حين يرفض المحدّثون[3] الواقدىّ ، فإنه يوثق به فى السيرة

---

(١) ولهوزن ١٥ .

(٢) ابن سعد ٢ ق ٢ : ١٢٦ ، الأسطر من ٢٥ إلى ١٢٨ والسطر ١٢ .

(٣) انظر الأحكام فى ابن حجر ٩ : ٣٦٣ وما بعدها ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٥٥ .

والمغازى ، والفتوح ، والفقه[١] . ولكن عنايته الحقيقية بالتاريخ لاتبدأ إلا بظهور الإسلام ، فهو بخلاف ابن إسحاق لايوجه كبير عناية إلى الفترة الوثنية السابقة عليه ، وأقل من ذلك أيضا عنايته بتاريخ الرسالات قبل الإسلام كما يبدو . ويقول إبراهيم الحربى[٢] : « كان الواقدى أعلم الناس بأمر الإسلام ، وأما الجاهلية فلم يعلم منها شيئا » .

ويوصف الواقدىّ فى « الفهرست[٣] » بالتشيع ، ولكنه كان من المتشيعين المعتدلين . ويستشهد على ذلك بقوله الذى يرى فيه أن عليًّا كان إحدى معجزات النبى ، كما كانت العصا التى تحولت إلى حية إحدى معجزات موسى ، وكما كان إحياء الموتى من معجزات عيسى . ولكن الأمر الجدير بالملاحظة أن الواقدىّ إما أنه لم يقل مثل هذه الأقوال المناصرة لعلىّ ، التى نجدها عند ابن إسحاق ، وإما أن يكون اقتبسها بشكل ملطف فقط . وكذلك لاتوجد عند الواقدى عبارة النبى لعلىّ ، التى ذكرها ابن إسحاق : « أفلا ترضى ياعلىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟[٤] » والعبارة التى قالها النبى عند بعث سورة براءة ، والتى رواها ابن إسحاق : « لايؤدى

---

(١) ابن سعد ٥ : ٣١٤ ؛ ياقوت : نفس الموضع .

(٢) ابن حجر ٩ : ٣٦٥ . (٣) ت . فلوجل ٩٨ : وكان يتشيع حسن المذهب . . . وهو الذى روى : أن عليا عليه السلام كان من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، كالعصا لموسى صلى الله عليه ، وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليه السلام ، وغير ذلك من الأخبار .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٦٣ والواقدى ، وهوزن ٣٩٣ .

عنى إلا رجل من أهل بيتى[١] » ويدهشنا مثل هذا الحذف أو التغيير لأحاديث فى صالح علىّ من مؤلف يوصف بالتشيع ، وربما كان تفسير ذلك فيما أضافه مؤلف الفهرست حين يقول : إن الواقدى كان يلزم التَّقِيَّة[٢] ، أى أنه كان يكتم ميله للتشيع . ويكشف الواقدى فى المواضع الأخرى عن عدم تحيزه بذكره الأقوال التى فى جانب علىّ والتى عليه ؛ مثل ذكره الخبر القائل بوفاة النبى فى حِجر عائشة ، والخبر القائل بوفاته فى حِجر علىّ[٣] . أضف إلى ذلك أن مؤلف الفهرست هو المؤلف الأول كما يبدو ، والوحيد الذى يصف الواقدى بالتشيع ، حتى « كُتب الرجال » عند الشيعة لا تذكره .

وقد عاش الواقدىّ ، كما رأينا ، فى رضا الخلفاء العباسيين : ومن الواضح أن احترام البيت الحاكم هو سبب حذفه اسم العباس من قائمة خصوم النبى المأسورين فى بدر ، ووضعه « فلان » بدلا من اسم العباس فى قائمة الذين أمدوا جيش قريش بالمؤن (المُطْعِمين[٤]) . وكذلك ذكر

---

(١) ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، والواقدى ؛ وهوزن ٤١٦ ؛ والملاحظة على ابن سعد ٢ : ١٢٧ .

(٢) ٩٨ .

(٣) ابن سعد ٢ ق ٢ : ٥٠ ، الأسطر من ١٢ إلى ٥١ ، والسطر ٢٤ .

(٤) ت . كريمر : ١٤٠ ؛ يذكر الواقدى فى خبر موجود عند ابن سعد ٤ : ٦ أسر العباس . وانظر أيضا تولدكه فى « مجلة جماعة المستشرقين الألمان » المجلد ٥٢ ، الصفحة ٢١ وما بعدها .

الواقدى الرواية القائلة بأن العباس كان فى صدر قائمة العطاء التى كتبها عمر[١] ، إرضاء للبيت الحاكم .

محمد بن سعد

آخر جمّاعى المغازى الذين نذكرهم هنا محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدىّ ، الذى حقق كتابه أدورد سخاو Eduard Sachau مع عدد من الزملاء[٢] والذى ألف رسالة عنه أُتُّو لُثْ Otto Loth فى عام ١٨٦٩[٣] .

وقد وُلد محمد بن سعد بن منيع فى البصرة عام ١٦٨ هـ[٤] ، ثم أقام فى المدينة وأماكن أخرى، ونجده هناك فى عام ١٨٩ هـ[٥] . وعندما يوصف بأنه مولى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس[٦] ، لايعنى ذلك أنه هو نفسه كان مولى الحسين ، وإنما جده ، وربما أبوه أيضا ؛ لأن الحسين توفى عام ١٤٠ أو ١٤١ هـ[٧] . ويتضح من قول ابن سعد إن ذلك الفرع من البيت العباسى انتهى بالحسين[٨] ، أن ابن سعد نفسه لم يعد يرتبط أى نوع من الارتباط بذلك الفرع . ويطلق على ابن سعد فى بعض

---

(١) ابن سعد ٤ : ٢١ ؛ وكيتانى : حوليات ، السنة ٢٠ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤١ .

(٢) ابن سعد : تراجم محمد والصحابة والتابعين حتى عام ٢٣٠ هـ ، ١٩ مجلدا ، بريل E. J. Brill ، ليدن ١٩٠٤ — ٢٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ، ليبزج .

(٤) ابن سعد ٧ : ٩٩ .

(٥) نفس المرجع ٥ : ٣١٤ : ولكنه (أبا علقمة الفراوى) عمر حتى لقيناه سنة تسع وثمانين ومئة بالمدينة .

(٦) ابن سعد ٧ ق ٢ : ٩٩ ؛ البلاذرى : فتوح ٣١٢ يذكر أنه مولى بنى هاشم.

(٧) ابن حجر ٢ : ٣٤٢ .

(٨) ابن سعد ٥ : ٢٣١ .

المراجع لقب الزهرىّ[١] ، مما يجعلنا نظن أنه هو نفسه ، أو أبوه قبله ، انتسب إلى بنى زُهرة من قريش . واشتدت الصلة بينه وبين الواقدىّ فى بغداد ، وألف كتبه من تصنيفات الواقدىّ ، كما يقول مؤلف الفهرست[٢] . ولا يذكر جامع الفهرست من كتابات ابن سعد غير « كتاب أخبار النبى » ويبدو أن هذه السيرة وحدها كتبها ابن سعد بالصورة التى شاعت بها فيما بعد ، ورواها لتلاميذه ليرووها عنه ؛ على حين حُفظت « الطبقات » بصورتها المعروفة للمرة الأولى على يد الحسين بن فهم (٢١١ — ٢٨٩ هـ) . وجمع ابن معروف الكتابين فى كتاب واحد[٣] ، تؤلف سيرة النبى الجزءَ الأولَ منه ، حوالى عام ٣٠٠ هـ .

و « أخبار النبى » وهى المجلد الأول من القسم الأول ، والثانى من القسم الأول والثانى فى نسخة برلين ، لها فصل تمهيدى يتناول تاريخ الأنبياء السابقين ، ويُضاف إليه تاريخ أجداد محمد . ويلى ذلك عرض قصة طفولة محمد والأعوام التالية حتى بعثته ، يذكر فيه فصلين عن علامات نبوة محمد قبل الوحى الأول وبعده . ثم يسرد الحوادث منذ أول دعوة إلى الإسلام حتى الهجرة . ويعالج الجزء الثانى من المجلد الأول العهد المدنى ، ويفصل أوامر النبى خاصة ، ووفود العرب عليه ؛ وأخلاقه ، وطريقة حياته وما يختص به . ويخصص الجزء الأول من المجلد الثانى لغزوات النبىّ ، أى المغازى بالمعنى الخاص . ويُبْرز الجزء الثانى من المجلد

---

(١) ابن خلكان ١ : ٦٤١ . (٢) ت - فلوجل ٩٩ .
(٣) ك : الطبقات ٢٥ وما بعدها .

الثانى خاتمة سيرة النبىّ فى فصول منفصلة عن مرض النبى، ووفاته ، ودفنه ، وميراثه ، ومجموعة من مراثيه أيضا . أما مايلى ذلك فى هذا المجلد ـ وهى أخبار عن أبرز الفقهاء فى المدينة ـ فهو المدخل إلى « الطبقات » ولا تتصل فيما عدا ذلك بحياة النبى الفعلية ، التى يشار بوضوح إلى نهايتها بالعبارة : « آخر أخبار النبىّ » التى تقف قبل بداية هذه الضميمة .

ويُعد ابن سعد أول مؤلف بعد ابن إسحاق ، وصلت إلينا منه ترجمة كاملة للنبى ، مادمنا لانملك غير مغازى الواقدىّ كتابا مستقلا كاملا . ويعطينا ابن سعد فى بعض المواضيع تفاصيل أوفى من ابن إسحاق ، كما فى الفصول الخاصة بأخلاق النبى وعاداته ، والخاصة برسائله وسفاراته ، والخاصة بمرضه ووفاته ؛ على حين يمرُّ مرّ الكرام على الأمور الأخرى ، التى تشغل مساحة كبيرة عند ابن إسحاق، مثل ماضى بلاد العرب الجاهلى الذى لايتصل بأجداد النبى المباشرين . وعُنِى ابن سعد أحيانا بالتنظيم المنهجى لموادّه ؛ ويبدو أنه أول من جمع « علامات النبوة » معا ، ذلك العمل الذى اتبعته فيما بعد الكتب المتأخرة عن « دلائل النبوة » ، كما كان فصله عن «صفة أخلاق رسول الله» سبب وجود أدب « الشمائل » فيما بعد[1] .

وتعتمد «أخبار النبى» لابن سعد اعتمادا شديدا على المادة التى جمعها

---

(١) نولدكه ـ شولى : تاريخ القرآن ٢ : ١٣٥ .

أستاذه الواقدى . ومن الحق أنه لايذكره فى تاريخ أهل الكتاب إلا نادرا[١] ، أما راويته الرئيسى فى ذلك فهو هشام بن محمد بن السائب الكلبى. أما الواقدى فهو راويته الرئيسى فى تاريخ الفترة المكية من حياة النبى ، وإن كان ابن سعد يوسّع قصصه فى الغالب بالروايات التى يأخذها عن الرواة الآخرين. وكذلك الواقدى هو راويته الرئيسى فى الفصول الخاصة بأنواع نشاط النبى فى المدينة، وابن سعد يكمل رواياته هنا أيضا بالروايات الأخرى.

ومن جهة أخرى يبرّز ابن سعد على الواقدىّ فى فصوله عن صفة أخلاق النبى ، ولا يذكره إلا نادرا . ويصدّر ابن سعد[٢] أخباره عن المغازى الفعلية بقائمة تحوى أهمّ رواته ، ويذكر الواقدىّ على أنه راويته المباشر ، وزعيم بن يزيد ، الذى روى له أخبار ابن إسحاق ، وحسين بن محمد، الذى روى له أخبار أبى معشر ، وإسماعيل بن عبد الله ، الذى روى له أخبار موسى بن عقبة . إذن فابن سعد يقودنا إلى آثار أعلم من تقدمه ، ويعتمد وصفه للمغازى الفعلية عليهم بصفة رئيسية ، وإن كانت مقابلته بنص « مغازى » الواقدى ترينا أن ابن سعد اعتمد على الواقدىّ أكثر من غيره ؛ وعلى ابن إسحاق ، وأبى معشر ، وموسى بن عقبة ، بدرجة أقل كثيرا . ويمدنا ابن سعد فى كل من هذه الغزوات بوصف رئيس دون أية إشارة إلى مرجع ، مادام قد ذكر الرواة مرة واحدة فى بداية المغازى ،

---

(١) ابن سعد ١ : ٢١ ، ٢٢ (٢) نفس المرجع ٢ : ١

ثم يوسع هذا الوصف الرئيس بالروايات الفردية الكثيرة جدا فى كثير من الغزوات ، ويقدم كل رواية منها بإسناد خاص . وهكذا يقف ابن سعد من الواقدىّ فى المغازى، موقف الواقدى من ابن إسحاق. ولكن على حين لايذكر الواقدى ابن إسحاق أبدا ، نجد ابن سعد لايخفى أن كتاب الواقدى أساس كتابه الخاص . وعلينا أن نعرف مقدما أن ابن سعد ليضمن نقاء عرْضه ، لايقطع وصفه الرئيس أوقصته الأساسية أبدا بالإضافات التى جمعها بنفسه ، كما يفعل الواقدى ، ولكنه يضع هذه المادة المضافة فى نهاية القصة الأساسية فى كل حالة . وكمّل ابن سعد أخبار الواقدى منهجيا فى إحدى الخواص ، وهى إجابته فى كل غزوة عن الأسئلة التالية :

من الذى تركه النبى حاكما على المدينة فى أثناء غيابه ؟ ومن حمل اللواء ؟ .

حقًّا إن الواقدىّ وجه عنايته إلى تلك الأسئلة، ولكنه لم يجب عنها فى كل حالة . وقد تعب ابن سعد تعبا شديدا فى جمع الأخبار الخاصة بمرض النبى الأخير ووفاته ؛ ويظهر الواقدى راويتَه هنا أيضا فى أغلب الأحيان ، ومن الواضح أن ابن سعد استخدم « كتاب وفاة النبى » للواقدى ، ولكنه وسّعه توسيعا عظيما جدا .

ولم يأت ابن سعد فى كتابه بملاحظات شخصية قط ، وقلما يوجد قول دون الإشارة إلى المرجع الذى أخذ عنه ، فيما عدا بعض الأقوال المتصلة بالقصة . ويذكر إلى جانب هذه الأخبار التى استعارها ممن تقدمه ،

النصّ الكامل لكثير من الوثائق الأصلية ، وليست القصائد التى استشهد بها ، وخاصة المراثى ، بقليلة على الإطلاق . ولكنه فى هذه الناحية متخلف عن الواقدى ، ولا يمكن ذكره مع ابن إسحاق . ويصدّر ابن سعد « الطبقات » الخاصة ، التى تبدأ بالمجلد الثالث من نسخة سخاو ، بقائمة عن رواته الأساسيين ، ويظهر فيها إلى جانب الواقدى ، ابن إسحاق ، وأبو معشر ، وموسى بن عقبة ، الذين أخذ أقوالهم عن طريق تلاميذهم المباشرين أو غير المباشرين . ويذكر هنا أيضا من رواته معنَ بن عيسى المدنى (المتوفى عام ١٩٨ هـ) والفضلَ بن دُكَين الكوفى (المتوفى عام ٢١٩ هـ) وهشام بن محمد بن السائب الكلبى الكوفى (المتوفى عام ٢٠٤هـ) الذى كان أبوه محمد أشهر النسابين . ولكن ابن سعد يلتزم غالبا فى نسب الأنصار راوية آخر ، هو عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصارى ، مؤلف « كتاب نسب الأنصار[1] » ، ولعله هو عبد الله بن محمد بن عمارة بن القداح المذكور فى « ميزان » الذهبى ، والذى لا نعرف عنه شيئا آخر .

وتكوِّن « الطبقات » تكملة غنية لسيرة النبى مادامت تشير إلى أصحابه من الرجال والنساء ـ والمجلد الثامن من الكتاب مخصص لهؤلاء النساء ـ الذين اشتركوا فى حياة النبى العامة والخاصة ، أو الذين رووا

---

(١) انظر سخاو فى مقدمة المجلد الثالث من ابن سعد ص XXVII ؛ وهورويتس فى مقدمة المجلد الثالث من ابن سعد ص ٥ وما بعدها ؛ سخاو : دراسات ٣٢ ومابعدها ، دى غويه فى « مجلة جماعة المستشرقين الألمان » المجلد ٥٧ ، الصفحة ٣٧٩ ، ركندورف Reckendorf فى « صحيفة الآداب الشرقية » ١٩٢٣ ص ٣٥١ .

الحديث . ويُضاف إلى تراجم الصحابة تراجم التابعين ، الذين لم يعودوا متصلين بأية صلة شخصية بسيرة النبي . ولا أتقدم هنا لأذكر خصائص أخرى للطبقات ، ولكن أُتوِلُتْ تناول صفتها الخاصة لا فى الرسالة المذكورة سابقا وحدها ، بل أيضا فى المقالة المسماة : « أصل الطبقات وأهميتها[1] » التى يناقش فيها صلة « طبقات » ابن سعد بطبقات الواقدى وأخيرا شرح سخاو فى مقدمة المجلد الثالث من نسخته المناهجَ التى اتبعها ابن سعد فى « الطبقات » شرحا أكثرَ دقة .

ولا تؤلف سيرة النبي فى مجموعات العصور التالية فى مصنفات الطبرى والمسعودى ، واليعقوبى وغيرهم غيرَ فصل فى معرِض تاريخ العالم ، ولا يُخَصِّص لها كتبا ثانية إلا مؤلفو القرون المتأخرة ، من أمثال الحَلَبى[2] (المتوفى عام ١٠٤٤هـ) وابن سيد الناس (المتوفى عام ٧٣٤ هـ) اللذين أكثرا فى آثارهما من ذكر مؤلفى المغازى الأولى ، الذين هم موضوع هذه المقالات .

---

(١) «مجلة جماعة المستشرقين الألمان» المجلد ٢٣ ، الصفحة ٥٩٣ وما بعدها .
(٢) هو على بن برهان الدين الحلبى ، صاحب السيرة الحلبية .

ضمائم

جمعها المترجم ؛ وهى أمثلة تبيّن أساليب

أصحاب المغازى فى تواليفهم

أبان بن عثمان

— ١ —

الفقرة التى أوردها ابن قتيبة عن أبان بن عثمان :

« وكان كعب فحلا مجيدا ... وكان أخوه بُجَيْر أسلم قبله ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة . وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوعده . فبعث إليه بجير فحذره . فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بأبى بكر . فلما سلم النبى صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح جاء به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يارسول الله ، هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام . فبسط النبى صلى الله عليه وسلم يده . فحسر كعب عن وجهه ، وقال : هذا مَقام العائذ بك يارسول الله ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار ، وغلّظت له ، لذكره كان قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحبت المهاجرة أن يسلم و يؤمنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمنه واستنشده :

بانتْ سعادُ فقلبى اليومَ مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ إِثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ

فلما بلغ قوله :

إن الرسولَ لَنُورٌ يُستضاء به ... وصارمٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

فى عُصْبةٍ من قريش قال قائلُهم ... ببطن مكةَ لما أسلموا : زُولُوا

زالوا فمازال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... يوم اللقاء ولا سودٌ مَعازيلُ

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده من قريش ، كأنه يُومئ إليهم أن يسمعوا ، حتى قال :

يَمْشُونَ مَشْىَ الجِمالِ الزُّهْمِ يَعْصِمُهم

ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ

يعرض بالأنصار ، لغلظة منهم كانت عليه . فأنكرت قريش عليه ، وقالوا : لم تمدحنا إذ هجوتهم . فقال :

من سَرَّهُ شرفُ الحياةِ فلا يَزَلْ ... فِي مِقْنَبٍ من صالِحى الأنصار

فكساه النبى صلى الله عليه وسلم بُردة ، اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم ، وهى التى يلبسها الخلفاء فى العيدين . زعم ذلك أبان بن عثمان بن عفان » .

« الشعر والشعراء طبعة ليدن ٩٨ »

— ٢ —

آخر ماتفوّه به عمر بن الخطاب :

« عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، عن أبيه ، عن عثمان بن عفان ، قال : أنا آخِرُ كم عَهْدا بعمر ، دخلتُ عليه ورأسُه فى حجر ابنه عبد الله ابن عمر ، فقال له : ضَعْ خَدّى بالأرض . قال : فهل فَخِذى والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدى بالأرض لا أمّ لك ، فى الثانية أو فى الثالثة ، ثم شَبَّك بين رجليه ، فسمعتُه يقول : وَيْلى وَوَيْلُ أُمّى إن لم يغفر الله لى، حتى فاضت نفسه .

قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة قال: (نا) سفيان، عن عاصم بن عُبيدالله، قال: حدثنى أبان بن عثمان ، عن عثمان، قال : آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: وَيْلى وَوَيْلُ أُمّى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى ، ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى » !

« ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٦٢ »

عروة بن الزبير

— ١ —

رسالة عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان :

« ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان:

أما بعد فإنك كتبت إلىّ فى أبى سفيان ومخرجه ؛ تسألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام فى قريب من سبعين راكبا ، من قبائل قريش كلها ، كانوا تجارا بالشام. فأقبلوا جميعا معهم أموالهم وتجارتهم : فذُكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك، فقُتلت قتلى، وقُتل ابن الحَضْرَمِىّ فى ناس بنخلة ، وأُسرت أسارى من قريش ، فيهم بعض بنى المغيرة ، وفيهم ابن كَيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بنى عَدِىّ ابن كعب ، فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش . وكانت تلك الوقْعة هاجت الحربَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش ، وأول ما أصاب بعضهم بعضا من الحرب. وذلك قبل مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال و بقلة عددهم . فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لَقُوهم. وهى التى أنزل الله عز وجل فيها : « وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ » .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون

له بعث إلى قريش أن محمدا وأصحابه معترضون لكم فأجيروا تجارتكم . فلما أتى قريشا الخبر ، وفى عِير أبى سفيان من بطون كعب بن لؤى كلها ، نَفَرَ لها أهل مكة ، وهى نفرة بنى كعب بن لؤى ، ليس فيها من بنى عامر أحد، إلا ما كان من بنى مالك بن حِسْل .

ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم بدرا . وكان طريق ركبان قريش ، من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام . فخفض أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرَّصَد على بدر .

وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى عَرَّس قريبا من بدر . وبعث النبى صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبون أن قريشا خرجت لهم. فبينا النبى صلى الله عليه وسلم قائم يصلى إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبنى الحجاج أسود ، فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعَرِّسه ، فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ، لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ، ويَصْدُقهم الخبر، وهم أكره شىء إليهم الخبر الذى يخبرهم، وإنما يطلبون حينئذ بالركب أباسفيان وأصحابه ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصلى: يركع ويسجد ، ويرى ويسمع ما يُصنع بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم

ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه . فجعل العبد إذا أذلقوه[1] بالضرب ، وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه وليس له بهم علم، إنما هو من روايا قريش ، قال : نعم ، هذا أبو سفيان . والركب حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل : « إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... » حتى بلغ « أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا » ، فطفقوا إذا قال لهم العبد: هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته ، وقد سمع الذى أخبرهم ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتتركونه إذا كذب » . قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشا قد جاءت ! قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير ركابها . فدعا الغلام ، فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لى بأبى سفيان . فسأله : كم القوم ؟ فقال : لا أدرى والله ، هم كثير عددهم . فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أطعمهم أول من أمس؟ فسمَّى رجلا أطعمهم . فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر . قال : فمن أطعمهم أمس ؟ فسمى رجلا . فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر . فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : القوم مابين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

---

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه وأجهدوه .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء ، وملأ الحياض ، وصفّ عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال : هذه مصارعهم . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ، ونزل عليه . فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تُحادّك وتكذب رسولك ، اللهم إني أسألك ماوعدتني. فلما أقبلوا استقبلهم، فحثا في وجهم التراب ، فهزمهم الله؛ وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا . والركب الذين يأمرون قريشا بالرّجعة بالجُحفة ، فقالوا : والله لانرجع حتى ننزل بدرا ، فنقيم به ثلاث ليال، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا ، وهم الذين قال الله عز وجل: « الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ » ، فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » .

« الطبرى ١ : ١٢٨٤ »

— ٣ —

فقرة من تناول عروة لحروب الردة :

« هشام، عن عروة ، عن أبيه، قال : كفرت العرب، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم . ثم قال : والله لا أنتهي حتى أناطح مسيلمة .

فقالت الأنصار : هذا رأى تفردت به ، لم يأمرك به أبو بكر ، ارجع إلى المدينة حتى نريح كُرَاعنا[1] . فقال : والله لا أنتهى حتى أناطحه . فرجعت عنه الأنصار ، ثم قالوا : ماذا صنعنا ؟ لئن ظهر أصحابنا لقد خُسِّسنا ، ولئن هربوا لقد خذلناهم ، فرجعوا ومضوا معه . فالتقى المسلمون والمشركون ، فولَّى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال ، فقام السائب بن العوام ، فقال : أيها الناس ، قد بلغتم الرحال ، فليس لامرئ مفر بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلمة : وكان شعارهم يومئذ : يا أصحاب سورة البقرة » .

« فتوح البلدان ٨٩ »

— ٣ —

فقرة من تناول عروة لتاريخ الخلفاء والحزب الزبيرى فى يوم الجمل :

« عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان لايجىء رجل فيأخذ بالزمام [بزمام جمل عائشة] حتى يقول : أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين ، فجاء عبد الله بن الزبير ، فقالت حين لم يتكلم : من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله ، أنا ابن أختك . قالت : وا ثُكْلَ أسماء ، تعنى أختها . وانتهى إلى الجمل الأشترُ وعدىُّ بن حاتم . فخرج عبد الله بن حكيم بن حِزام إلى الأشتر . فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر . ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحا شديدا ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة . واعتنق كل منهما صاحبه ، وخرَّا إلى

(١) الكراع هنا : الخيل .

الأرض يعتركان ، فقال عبد الله بن الزبير : اقتلونى ومالكا ؛ وكان مالك يقول: ما أحِب أن يكون قال: «والأشتر[١]» وأن لى حُمْرَ النَّعَم[٢]. وشد أناس من أصحاب علىّ وأصحاب عائشة فافترقا ، وتَنَقَّذ كل واحد من الفريقين صاحبه .

« الطبرى ١ : ٣٢٠٧ »

شُرَحبيل بن سعد

— ١ —

الفقرة التى تناول فيها شرحبيل هجرة الرسول :

« حدثنى مجمّع بن يعقوب أنه سمع شرحبيل بن سعد يقول : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتقل من قُباء اعترضت له بنو سالم ، فقالوا : يارسول الله ، وأخذوا بخِطام راحلته ، هَلمَّ إلى العَدَد والعُدَّة ، والسلاح والمَنَعة . فقال : خَلُّوا سبيلها ، فإنها مأمورة . ثم اعترضت له بنو الحارث بن الخزرج، فقالوا له مثل ذلك، فقال لهم مثل ذلك. ثم اعترضت له بنو عدى، فقالوا له مثل ذلك ، فقال لهم مثل ذلك ، حتى بركت حيث أمرها الله » .

« ابن سعد : الطبقات الكبير ١ : ١٦٠ »

---

(١) الأشتر : لقب مالك بن الحارث النخعى الفارس الشاعر التابعى، من أصحاب على رضى الله عنه . (عن تاج العروس) .

(٢) النعم : الإبل والشاء ، وحمر النعم : أعزها وأندرها .

وهب بن منبه

— ١ —

فقرة تبين أسلوب وهب ومراعاته الخرافات والأساطير :

« قال وهب : ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار العربية ، أنزل كتابا مقطعا ، وهو : شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم : « شَهِدَ اللهُ أَنَّه لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ » .

حكم الحى القيوم أنه إذا اعتكر[1] الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم فى ذرية آدم الشيطان ، وغلب هذا الانسان ، فعُبدت الأوثان ، وقُتل الولدان ، أن بعث الله محمدا بالعدل والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، نبى لانبى بعده ، ولم يخلف الله وعده » .

« كتاب التيجان ٢٦ »

— ٢ —

وهذه فقرة من تاريخ اليمن لوهب :

ملك الهمال بن عاد

المعروف بذى شـــدد ملك متوج

« وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن

---

(١) اعتكر الزمان : اختلطت أموره والتبست .

المِلطاط بن السَّكسك بن وائل بن حمير ، والهمال بن عاد هو ذو شَدَد . فلما صار الملك إلى همال ذى شدد دخل إلى المغارة التى دفن فيها أخوه شداد ابن عاد ، فأخرج التاج ، وتتوج به . وكان لقمان غيّبه فى تلك المغارة ، لأنه لم يكن متوجا ، كان متواضعا لله . فلما ولى الهمال بن عاد أخذ الملك أخذا شديدا ، فولى ذلك حينا من الدهر ، ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير ، كقولك ذو شطط بن عاد بن مناح ، أى ذو عطاء » .

« كتاب التيجان ٧٨ »

عبد الله بن أبى بكر

— ١ —

فقرة من تناوله للسَّرايا :

« ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّرِية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم: « إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذى له ، فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم ذلك فهو فَىْء الله الذى أفاءه إليكم ، وأنتم أحق به » . قالوا : يارسول الله ، بل نرده عليه . قال : فردوا عليه ماله، حتى إن الرجل ليأتى بالحبل ، ويأتى الرجل بالشَّنَّة[١] والإداوة[٢] ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظ[٣] ، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لايفقد منه

(١) الشنة : السقاء البالى . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .
(٣) الشظاظ : خشبة معقوفة تدخل فى عروتى الجوالق .

شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدّى إلى كل ذى مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه[1] ، ثم قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، جزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيًّا كريما . قال : فإنى أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وما منعنى من الإسلام عنده إلا تَخَوُّف أن تظنوا أنى إنما أردت أكل أموالكم ، فلما أداها الله عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« الطبرى ٣ : ٢٣٠٥ ؛ وابن هشام ٢ : ٣١٣ »

— ٢ —

وهذه فقرة تبين عنايته بالسنين و بحياة النبى قبل البعثة :

« ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ... أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنوات ، بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بنى عدىّ بن النجار تُزِيرُه إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة » .

« الطبرى ١ : ٩٨٠ »

— ٣ —

وهذه فقرة من وصفه لموقعة القادسية :

« محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ... ثم زحف إليهم رستم

(١) أبضع معه : أرسل بضاعته معه .

وزحف إليه المسلمون وما عامّةُ جُنَنِهم[1] غير براذع الرحال، قد عرّضوا فيها الجريد يترّسون[2] بها عن أنفسهم ، وما عامة ماوضعوه على رءوسهم إلا أنساع الرحال[3] ، يطوى الرجل نِسْعَ رحله على رأسه يتقى به، والفُرس فيما بينهم من الحديد واليَلامِق . فاقتتلوا قتالا شديدا ، وسعد [بن أبى وقّاص] فى القصر ينظر ، معه سَلْمى بنت خَصَفة ، وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل، فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت: وا مُثَنّياه ، ولا مُثنّى لىَ اليوم ! فغار سعد ، فلطم وجهها ، فقالت : أغَيْرةً وجبنا ؟! فلما رأى أبو مِحْجَن [الثقفى الشاعر المعروف ، وكان محبوسا عند سعد لشربه الخمر] مانصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذَيب ، وكان مع سعد فيه ، قال :

كفَى حَزَنا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مشـــدودا علىَّ وَثاقيا
إذا قمتُ عَنّانى الحديدُ، وأُغلِقتْ ... مصـــاريعُ دونى لاتُجيب المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوةٍ ... فقد تركونى واحـــدا لا أخا ليا

فكلم زَبْراء أم ولد سعد ، وكان عندها محبوسا ، وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الناس ، فقال : يازبراء ، أطلقينى ولكِ علىَّ عهد الله وميثاقه : لئن لم أُقتل لأرجعنَّ إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلىَّ . فأطلقته وحملته على فرس لسعد بَلْقاء ، وخلّت سبيله . فجعل يشدّ على العدو وسعد ينظر ، فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها . فلما أن فرغوا من القتال ، وهزم

(١) الجنن : جمع جنة ، وهى ما يستتر به .
(٢) يترسون بها : يجعلونها ترسا واقيا .
(٣) أنساع الرحال : جمع نسع ، وهو حبل طويل عريض يشد به الرحل .

الله جموع فارس، رجع أبو محجن إلى زبراء، فأدخل رجله فى قيده. فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق، فعرف أنها قد رُكبت، فسأل عن ذلك زبراء، فأخبرته خبر أبى محجن، فخلَّى سبيله».

« الطبرى ١ : ٢٣٥٣ »

عاصم بن عمر

— ١ —

فقرة تبين سبب إسلام الأنصار :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه، قالوا :

إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا، لَمَا كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهلَ شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبىٍّ يُبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرَم، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرَّفنا ما كانوا يتوعّدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنّا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نَزل هؤلاء الآيات من البقرة : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ،

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » .
« ابن هشام : السيرة النبوية ١ : ٢٢٥ »

— ٢ —

وصف بَيْعَة العقبة :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس ابن عُبادة بن نَضْلَة الأنصارىّ ، أخو بنى سالم بن عَوْف : يامعشر الخَزْرَج ، هل تدرون عَلَامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهِكت أموالكم مُصيبة ، وأشرافكم قتلا أسْلَمتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله إن فعلتم خِزْى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دَعَوتموه إليه على نَهْكة[1] الأموال ، وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفَيْنا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسُط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ماقال ذلك العباس إلا ليَشُدَّ العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم . وأما عبد الله بن أبى بكر

---

(١) نهكة الأموال : نقصها .

فقال : ماقال ذلك العباس إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضُرها عبد الله بن أبيّ بن سَلول ، فيكون أقوى لأمر القوم » .

« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٨٨ »

— ٣ —

فقرة فى وصف موقعة بدر :

« قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفْراء ، قال : يارسول الله ، مايُضْحِك الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسرا[1] . فنزع درعا كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل » .

« ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٢٨٠ »

— ٤ —

فى فتنة عثمان :

« محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما نزلوا [الثوار] ذا خُشُب ، كلم عثمان عليًّا وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم عنه . فركب علىّ ، وركب معه نفر من المهاجرين ، فيهم سعيد بن زيد ، وأبو جَهْم العَدَوىّ وجُبَير بن مُطْعِم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عَتّاب بن أسِيد ، وخرج من الأنصار أبو أُسَيْد الساعدىّ ، وأبو حُمَيد الساعدىّ ، وزيد بن ثابت ، وحسان

(١) الحاسر : الذى لا درع له . (عن اللسان) .

ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومعهم من العرب نِيار بن مِكْرَز وغيرهم ؛ ثلاثون رجلا . وكلمهم علىّ ومحمد بن مسلمة ، وهما اللذان قدما ، فسمعوا مقالتهما ورجعوا » .

« الطبرى ١ : ٢٩٧٠ »

الزُّهرىّ

— ١ —

بعثة النبى صلى الله عليه وسلم :

« قال ابن إسحاق ، فذكر الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثته : أن أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح ، قالت : وحَبَّبَ الله تعالى إليه الخَلْوَة ، فلم يكن شىء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده » .

« ابن هشام ١ : ٢٤٩ »

— ٢ —

وصف المغازى :

« عن عُقَيل ، عن الزهرىّ : أن وقيعة بنى النضير من يهود كانت

على ستة أشهر من يوم أُحد . فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّتْ الإبل مِنَ الأمتعةِ إلا الحَلَقَةَ[1]، فأنزل الله فيهم « سَبَّحَ لِلّهِ ما فى السَّمٰوٰتِ وَمَا فى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... » إلى قوله : « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » .

« البلاذرى : فتوح البلدان ١٨ »

موسى بن عقبة

— ١ —

تاريخ الجاهلية :

« عن عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن موسى بن عقبة ، قال : سمعتُ من أَرْضَى يُحَدِّث أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض نباتا ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ! إنكارا لذلك و إعظاما له » .

« الأغانى ٣ : ١٦ »

---

(١) الحلقة : الدروع .

— ٢ —

رسالة النبي إلى المنذر بن ساوَى :

« عن موسى بن عقبة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب إلى منذر ابن ساوَى : من محمد النبي إلى منذر بن ساوَى :

سِلْمٌ أنت ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد : فإن كتابك جاءنى ، وسمعتُ مافيه ، فمن صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، ومن أبَى ذلك فعليه الجزية » .

« البلاذرى : فتوح البلدان ٨٠ »

— ٣ —

فتنة عثمان :

« محمد بن مسلم عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة ، قال : نظرت إلى سعد بن أبى وقاص يومَ قُتل عثمان ، دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب ، فقال له مروان: الآن تندم ، أنت أشعرتَه[1]، فأسمعُ سعدا يقول : أستغفر الله ، لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلتُ عليه الآن ، فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك ، فنزع عن كل ما كُرِه منه،وأعطى التوبة ، وقال : لاأتمادى فى المَلَكة ، إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أتوب وأنزع . فقال مروان: إن كنتَ تريد أن تذُبَّ عنه فعليك بابن أبى طالب ،

(١) أشعرته : شهرته بقولك، فصار له كالطعنة فى البدنه (عن النهاية لابن الأثير) .

فإنه متستر وهو لايُجْبَه . فخرج سعد حتى أتى عليًا وهو بين القبر والمنبر ، فقال : يا أبا حسن ، قُمْ فداك أبى وأمى ، جئتُك والله بخير ماجاء به أحد قطُّ إلى أحد : تَصِل رَحِمَ ابن عمك ، وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر على مانحب ، قد أعطى خليفتُك من نفسه الرضا فقال عليّ : تَقَبَّل الله منه ياأبا إسحاق ، والله مازلتُ أدبّ عنه حتى إنى لأستحى ، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص ، وهم صنعوا به ماترى ، فإذا نصحتُه وأمرتُه أن يُنَحِّيهم اسْتَغَشَّنى ، حتى جاء ماترى ... فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبى بكر ، فسارّ عليًا ، فأخذ عليّ بيدى ، ونهض عليّ وهو يقول : وأىُّ خير تو بتُه هـذه ؟ فوالله مابلغت دارى حتى سمعتُ الهائعة[1] ، أن عثمان قد قتل ، فلم نزل والله فى شر إلى يومنا هذا » .

« الطبرى ١ : ٢٩٩٨ »

— ٤ —

ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة من قبل الوليد بن عبد الملك :

« حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عقبة ، عن أبى حبيبة ، قال : اعتمرتُ ، فنزلتُ دور بنى أسد ، فى منازل الزّبير ، فلم أشعر إلا به [بخالد بن عبد الله القسرىّ] يدعونى ، فدخلت عليه ، فقال: من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة . قال: ما أنزلك فى منازل المخالف للطاعة ؟ قلت : إنما مُقامى إن أقمت يوما[2] أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلى ، وليس عندى خلاف ، أنا ممن يعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جحدها فقد هلك .

(١) الهائعة : الصوت الشديد يفزع منه . (٢) كذا فى الطبرى .

قال : فلا عليك ما أقمت ، إنما يُكرَه أن يقيم من كان زارياً على الخليفة .
قلت : مَعاذَ الله .

وسمعته يوما يقول : والله ، لو أعلم أن هذه الوحش التى تأمن فى الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة ، زار عليهم . قلت : وفّق الله الأمير » .

« الطبرى ٢ : ١٢٣١ »

معمر بن راشد

— ١ —

قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع نُمْرود :

« نا عبد الرزاق ، قال : نا معمر ، عن زيد بن أسْلَم : أن أول جبّار كان فى الأرض نمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون[1] من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرّ به ناس قال : مَن ربُّكم ؟ قالوا : أنت . حتى مرّ به إبراهيم قال : من ربُّك ؟ قال : «ربى الذى يُحيى ويُميت . قال : أنا أُحيى وأُميت . قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب . فبُهت الذى كفر » . قال : فردّه بغير طعام . قال : فرجع إبراهيم إلى أهله ، فمرّ على كَثِيب أعفر ، فقال : هلّا آخذ من هذا ، فآتىَ به أهلى ، فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم . فأخذ منه فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ، ثم نام . فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته ، فإذا هى بأجود طعام رآه أحد ، فصنعت له منه ، فقرّبته إليه .

---

(١) امتار : جمع الطعام والمئونة .

وكان عَهِد أهله ليس عندهم طعام . فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذى جئتَ به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحمد الله .

ثم بعث الله إلى الجبَّار مَلَـكا أن آمنْ بى وأترُكَك على ملـكك . قال : فهل ربٌّ غيرى ؟ ! فجاءه الثانية ، فقال له الملك : اجمعْ جموعك إلى ثلاثة أيام . فجمع الجبار جموعه ، فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابا من البعوض ، فطلعت عليهم الشمس، فلم يروها من كثرتها ؛ فبعثها الله عليهم، فأكلت لحومهم ، وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام والملك كما هو لم يُصبْه من ذلك شىء . فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت فى مَنْخِره . فمكث أربع مئة سنة يُضرَب رأسه بالمطارق ، وأرحمُ الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبارا أربع مئة عام ، فعذّبه الله أربع مئة سنة كملكه ، وأماته الله . وهو الذى بنى صَرْحا إلى السماء ، فأتى الله بنيانَه من القواعد ، وهو الذى قال الله : « فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ » .

« الطبرى ١ : ٣١٩ »

— ٢ —

النبىّ فى مكة :

« ثنا ابن ثَوْر ، عن مَعْمر ، عن الزهرى، قال : فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزنا شديدا ، جعل يغدو إلى رءوس

شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلما أوْفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فيقول : إنك نبيّ الله ، فيسكن لذلك جأشُه ، وترجع إليه نفسه .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُحدّث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشي يوما إذ رأيت المَلَك الذى كان يأتينى بحِراء ، على كرسيّ بين السماء والأرض ، فجُئِثْتُ[1] منه رعبا . فرجعتُ إلى خديجة ، فقلت : زَمِّلونى . فزمّلناه : أى دثّرناه ، فأنزل الله عز وجل : « يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

« الطبرى ١ : ١١٥٥ »

— ٣ —

بين الخليفة معاوية والمغيرة بن شُعبة عام ٦٠ هـ :

« حدثنى عبد الله ، عن معمر ، عن جعفر بن بُرقان : أن المغيرة كتب إلى معاوية :

أما بعد :

فإنى قد كَبِرَتْ سِنّى ، وَدَقّ عَظْمِى ، وشَنِفَتْ لى قريش[2] ، فإن رأيتَ أن تَعزِلنى فاعزلنى .

فكتب إليه معاوية :

جاءنى كتابك تذكر فيه أنه كبرت سنُّك ، فلَعَمْرى ماأكل عمرَك غيرُك ، وتذكر أن قريشا شَنِفَتْ لك ، ولعمرى ماأصبتَ خيرا إلا منهم .

(١) جئث : ذعر وخاف . (٢) شنف له : أبغضه .